

﴿وَلِكُلِّ دَرَجَتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ (١٣٢)

[الأنعام: 132]

❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

بعد أن ذكر حال المؤمنين ومثوبتهم في الدنيا، وفي الآخرة ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾، ثم ذكر المشركين وما سيؤول إليه في الآخرة حالهم؛ بين هنا أن كلا الفريقين من المؤمنين والكافرين، سيَكُونُونَ على درجاتٍ بحسب أعمالهم، وما يستحقُّون من الثَّواب، أو العقاب، فالله لا يظلمُ أحداً، بل يعطي سبْحانه كُلًّا منهم على استحقاقه، فسيُنْصَبُ يومَ القيامةِ ميزانٌ، وتكون درجاتٌ، ولكلٍّ منهم درجةٌ تناسب أعماله في الدنيا، وهي حصيلةٌ نهائيةٌ لها.

العلاقة بين
إغذار الله
للإنس والجن،
وأن درجات
الآخرة حصيلة
أعمال الدنيا

❁ شَرْحُ الْمُفْرَدَاتِ:

(1) ﴿دَرَجَتٌ﴾: أصلٌ واحدٌ يدلُّ على مُضَيِّ الشَّيْءِ والمُضَيِّ في الشَّيْءِ، من ذلك قولهم: دَرَجَ الشَّيْءُ؛ إذا مضى لسبيله، والدَّرَجَةُ في الرَّفْعَةِ والمنزلة، وتُجمَعُ: (الدَّرَجُ)، ودَرَجَاتُ الجنان: منازلُ أرفعَ من منازل⁽¹⁾. وِرَقَي في الدَّرَجَةِ والدَّرَجِ. واستَدَرَجَهُ: رَفَّاهُ من دَرَجَةٍ إلى دَرَجَةٍ⁽²⁾، و(المَدْرَجَةُ) بِوَزْنِ المَتَرَبَةِ: المَذْهَبُ والمَسْلُكُ. و(الدَّرَجَةُ) المِرْقَاةُ والجَمْعُ (الدَّرَجُ). و(الدَّرَجَةُ) أَيْضًا المَرْتَبَةُ والطَّبَقَةُ والجَمْعُ (الدَّرَجَاتُ)⁽³⁾. ومن المجاز: لفلانٍ درجةٌ رفيعةٌ. وامشِ في مدارجِ الحقِّ. وعليك بالنَّحو؛ فَإِنَّهُ مَدْرَجَةُ البَيَانِ. وَخَلَّه دَرَجَ الضُّبِّ، واستمرَّ أدراجَه، وذهبَ دُمُهُ أدراجَ الرِّيحِ، ودَرَجَ الرِّيحُ⁽⁴⁾.

(1) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة: (درج).

(2) الرَّمْخَشَرِي، أساس البلاغة: (درج).

(3) الرازي، الصحاح: (درج).

(4) الرَّمْخَشَرِي، أساس البلاغة: (درج).

ومعنى الدرجات في الآية: منازل ومراتب من خير أو شر.

(2) ﴿يَغْفِلُ﴾ الغفلة: ترك الشيء سهوًا، وربما كان عن عمد⁽¹⁾، وهي أيضًا: غيبة الشيء عن بال الإنسان وعدم تذكره له، يقال: غفل عن الشيء، يغفل، غفلةً، وغفلاً؛ إذا غاب عن باله، ولم يتذكره⁽²⁾. وتطلق الغفلة على من ترك الشيء إهمالاً وإعراضاً⁽³⁾، والتغافل: تعمّد الغفلة⁽⁴⁾. وتأتي بمعنى: عدم الفطنة وقلة التجربة، ورجل غفل: لم يجرب الأمور⁽⁵⁾. والمقصود بـ (غافل) في الآية: ليس بحفي على الله مقادير أعمالهم.

❁ المعنى الإجمالي:

يخبر تعالى أن لكل الناس: كافرين ومؤمنين، طائعين وعاصين؛ منازل ومراتب في الآخرة، يستحقونها بحسب أعمالهم؛ يبلغهم الله تعالى إياها، ويثيبهم بها؛ إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، ولا يخفى على الله من أعمال البشر شيء⁽⁶⁾.

❁ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

بلغة وضل الآية بما قبلها:

والجملة معطوفة على ما قبلها، وبين الجملتين اتصال؛ لكونيهما جملتين خبريتين، فلما ذكر تعالى أحوال أهل الثواب، وأحوال أهل العقاب؛ ذكر كلاماً كلياً عاماً في المطيع والعاصي، فقال: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَتٍ مِّمَّا عَمِلُوا﴾؛ فبين الجملتين اختلاف في المعنى، فالأولى

الدرجات ميزان
أعمال العباد
يوم القيامة،
ولا يظلم الله
الناس شيئاً

فائدة العطف
هو الجمع بين
الأعمال وجزائها

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (غفل).

(2) الفيومي، المصباح المنير: (غفل)، والحموي، غمز عيون البصائر: 4/144.

(3) القنوجي، فتح البيان: 4/443.

(4) ابن سيده، المحكم، وابن منظور، لسان العرب: (غفل).

(5) الجوهري، الصحاح، وابن فارس، مجمل اللغة: (غفل).

(6) ابن جرير، جامع البيان: 9/564، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 274، والشنقيطي،

العذب النمير: 2/298.

ذكرت الأعمال، والثانية بيّنت الجزاء عليها للفريقين الصالح أو الطالح في قبيلي الجن والإنس في الدارين، فإمّا درجات يعلمهم الله بها، أو درجات يهويهم فيها كذلك⁽¹⁾. وهي بمنزلة التذليل لما قبلها.

نكتة تنوين لفظ ﴿لِكُلِّ﴾:

والتنوين في ﴿وَلِكُلِّ﴾ تنوين عوض عن المضاف إليه محذوف، أي: ولكلهم، شمل بذلك كل أهل القرى المهلكة، فيكون المعنى لكل فرد منهم درجته التي يستحقها جزاء عمله، وهذا من عجائب عظيم شأن الله، فهو أسرع الحاسبين⁽²⁾ - سبحانه - والآية على عمومها تخاطب الناس جميعاً، فلكل واحد منهم درجة، وكل بحسب عمله، فتكون درجته حصيلة أعماله في حياته، وذكر الرازي معنى آخر: هو أن لكل عامل عملاً، فله في عمله درجات، فتارة يكون في درجة ناقصة، وتارة يترقى منها إلى درجة كاملة، وأنه تعالى عالم بها على التفصيل التام، فرتب على كل درجة من تلك الدرجات ما يليق به من الجزاء⁽³⁾. فيكون المعنى: ولكل واحد منهم درجات.

بلادة الإيجاز بحذف المضاف إليه في: ﴿وَلِكُلِّ﴾:

وقوله: ﴿وَلِكُلِّ﴾ تفيد بيان التنوع في الدرجات، والتقسيم كل بحسب ما يستحق على درجة من الدقة التي لا تخطئ أبداً، والعدل الذي لا يحد؛ إذ يكون لكل منهم منفرداً عن غيره درجة خاصة لا تماثل درجات الآخرين، على حسب أحوال الناس جميعاً، وقيل: لكل عامل في طاعة الله أو معصيته، منازل ومراتب من عمله يبلغه الله إياها، ويشبه بها، إن خيراً فخير وإن شراً فشر⁽⁴⁾. فيكون قد أريد بها الناس جميعاً مع ما لأهل القرى ممن ذكروا في الآية من

مِنْ عَذَلِ اللَّهِ
أَنْ جَعَلَ لِكُلِّ
مَا يَسْتَحِقُّهُ
عَلَى عَمَلِهِ يَوْمَ
الْحِسَابِ

الْجَزَاءُ شَامِلٌ
لِلْمُكَلَّفِينَ
جَمِيعًا، وَلِكُلِّ
مَا يَسْتَحِقُّ

(1) السمرقندي، بحر العلوم: 1/484.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 8/83.

(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 13/162.

(4) ابن جرير، جامع البيان: 12/125.

الخصوصية، فأريد هنا العام، أي: الناس جميعًا والجن جميعًا، بعد أن ذكر الخاص من أهل القرى.

بلاغة الاختراس في الآية الكريمة:

وقوله: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَتٍ مِّمَّا عَمِلُوا﴾ احتراس على قوله: ﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْفَرَى بِظُلْمٍ﴾⁽¹⁾؛ لبيان أن الصالحين من أهل تلك القرى - الغالب على أهلها الشرك والظلم، والتي قد يصيبها الإهلاك - لا يحرمون جزاء أعمالهم الصالحة.

علة إثارة لفظ ﴿دَرَجَتٍ﴾ دون غيره:

والدرجات عمومًا، هي المستويات، صعودًا أو هبوطًا، إيجابًا أو سلبيًا، واستُعيِرت هنا للمنازل، فهي لمنازل الأعمال، بقرينة قوله: ﴿مِّمَّا عَمِلُوا﴾، فشُبِّهَتْ بدرجات السلم في استعارة تصريحية، أو أنها قد سُمِّيَتْ ﴿دَرَجَتٍ﴾ لتفاضلها في الارتفاع والانحطاط، كتفاضل الدرج⁽²⁾. فصوّرت منازل الناس، وهم يقفون على درجات متوالية عالية، بعضهم أرقى من بعض، أو درجات نازلة، بعضهم أدنى من بعض، كلُّ بحسب عمله.

والمنازل أعمُّ من الدرجات؛ لأنَّ لفظ الكل يفيد الشمول للقبيلين المؤمنين والكفرة، فاقترضى المقام أن تُفسَّر الدرجات بالمنازل ليعمَّ المطيع والعاصي. كان المراد درجات ودركات، إلا أنَّه غلبَ الدرجات⁽³⁾.

سِرُّ استعمال لفظ ﴿دَرَجَتٍ﴾ مقابل لفظ ﴿دركات﴾:

قد جاء أنَّ للنَّار دركات، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: 145]، ووردت هنا درجات، لأهل الجنة وأهل النار على جهة التغليب، فدرج أهل الجنة تذهب علواً، ودرج أهل

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 8/83.

(2) ابن الجوزي، زاد المسير: 2/79.

(3) ابن التمجيد، حاشية على البيضاوي: 8/268.

لا يُحرَمُ
الصَّالِحُونَ مِنْ
أَهْلِ الْقَرْىِ
الظَّالِمَةِ، جَزَاءُ
أَعْمَالِهِمْ

الدرجات
استعارة لمنازل
الآخرة، التي
هي متفاضلة
كالدرج

الدرجات
هي المراتب
المتزايدة،
وفيهما إشعار
ببشارة المسلمين

النَّارِ تنزل هبوطًا. وَيُحْتَمَلُ أَنَّ المرادُ بالدَّرَجَاتِ هي المراتبُ المتزايدة، إلا أَنَّ زياداتِ أهلِ الجَنَّةِ في الخيراتِ والطَّاعاتِ، وزياداتِ أهلِ النَّارِ في المعاصي والسَّيِّئَاتِ⁽¹⁾. وأتى بلفظ الدَّرَجَاتِ؛ إيماءً إلى تغليبِ حالِ المؤمنين، لِتَطْمَئِنَّ نفوسُ المسلمين من أهلِ مَكَّةَ، بأنَّهم لا بأسَ عليهم من عذابِ مشرِكِيها، وقد عُلِمَ من الدَّرَجَاتِ أَنَّ أسافلها دركاتٌ، فغلبَ درجاتُ لنكتةِ الإشعارِ ببشارةِ المؤمنين، بعدِ نِذارَةِ المشركين⁽²⁾. ولعلَّها من قبيل كونِها أعظمَ شأنًا وعددًا ولذلك غُلِبَتْ.

دلالة (مِنْ) في قوله تعالى: ﴿مِمَّا عَمِلُوا﴾:

قوله: ﴿مِمَّا عَمِلُوا﴾ ومن أعمالهم تنشأ درجاتهم في الآخرة. ف (مِنْ) في قوله: ﴿مِمَّا عَمِلُوا﴾ تعليليةٌ، أي: بسببِ تفاوتِ أعمالهم⁽³⁾. وهي انعكاسٌ للمصائرِ يومَ القيامةِ، فما هذه الدَّرَجَاتُ إلا منازلٌ في الآخرة.

الأعمالُ هي
مَنْشَأُ دَرَجَاتِ
الْآخِرَةِ، وَكُلُّ
يُجَازَى حَسَبَ
عَمَلِهِ

بلاغة اللَّفِّ والنَّشْرِ، في الآية الكريمة:

قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَتٍ مِّمَّا عَمِلُوا﴾ فيه من بديع اللَّفِّ والنَّشْرِ ومن غريبه؛ إذ ذَكَرَ في القطعة القرآنية السابقة مُتَعَدِّدِينَ، هما: الجَنُّ وَالْإِنْسُ، والمؤمنون والكافرون، ثم ذَكَرَ في نَشْرِ واحدٍ ما يكون لكلِّ من أَفرادِ المُتَعَدِّدِينَ، فقال: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَتٍ﴾؛ فيكونُ الْإِنْسُ والجَنُّ لَفًا أَوَّلَ، ويكونُ المؤمنون والكافرون لَفًا ثَانِيًا، ثم قال: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَتٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾ نَشْرٌ لكلِّ واحدٍ من اللَّفِّينِ، فصارتِ الآيةُ كالْتَّذْيِيلِ لسابقتها.

الأعمالُ هي
العَنَاصِرُ الَّتِي
تَتَفَاوَتْ بِمُوجِبِهَا
الْمَنَازِلُ، إِجَابًا
وَسَلْبًا

ومن فوائدِ اللَّفِّ والنَّشْرِ هنا وبلاغته أَنَّهُ جَمَعَ المخلوقاتِ

(1) الفخر الزاوي، مفاتيح الغيب: 28/22.

(2) ابن عاشور، التَّحْرِيرِ والتَّنْوِيرِ: 8/84.

(3) ابن عاشور، التَّحْرِيرِ والتَّنْوِيرِ: 8/84.

المُكَلَّفَة، وجعلهم كلهم تحت مظلة أعمالهم، وجعل للأعمال مقياساً واحداً، وجعل أعمالهم هي العُنْصَر الذي تتفاوت به المنازل يوم القيامة، فلا تُظَلَم نفسٌ شيئاً، وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهِلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: 117]، أو يمكن أن يكون معنى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَتٌ﴾ أي: لكل فردٍ من الإنس والجنِّ سَيَنْصَبُ له ميزانٌ، أو يكون مقياسٌ لأعمالهم، منسجماً ومنبعثاً من واقع حالهم. وأنَّ أسلوبَ اللَّفِّ والنَّشْرِ هنا تَضَمَّنَ إشارةً علميَّةً خفيَّةً وأفاد تعليمًا خفيًا بأنَّ الدَّرَجَاتِ يمكنُ أن تكونَ على جهةِ الصُّعُودِ، وهي درجاتُ الإيجابِ، أو تكونَ على جهةِ النُّزُولِ وهي درجاتُ السُّلْبِ، فالآيةُ إخبارٌ من الله ﷻ بأنَّ المؤمنين في الآخرة على درجاتٍ من التفاضل بحسب أعمالهم، وجعلَ المشركين أيضاً على درجاتٍ من العذاب⁽¹⁾.

دلالة النَّفْيِ بـ ﴿وَمَا﴾:

عملت ﴿وَمَا﴾ في قوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ عملٌ (ليس) بدخولها على الجملة الاسميَّة، ويُقَوِّي هذه المُشَابَهَةَ بينهما دخولُ الباءِ في خبرها كما تدخلُ في خبرِ ليس⁽²⁾. فقال: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ﴾، و(ما) أقوى في النَّفْيِ من (ليس)⁽³⁾، فأفادت قوَّة النَّفْيِ في العبارة.

سِرُّ التَّعْبِيرِ عَنِ النَّفْيِ بِالْعَفْلَةِ بِاسْمِ الْفَاعِلِ ﴿بِغَفِلٍ﴾:

بينَ ﴿عَفِلُونَ﴾ و﴿بِغَفِلٍ﴾ تكرارٌ لصيغةِ اسمِ الفاعل، والتَّعْبِيرُ عن الأولى بالإثباتِ والثَّانِيَةِ بالنَّفْيِ، غرضُها بيانُ عَظِيمِ شَأْنِ اللَّهِ، فمهما غفلَ البَشَرُ - وهي صفةٌ من صفاتهم - فإنَّه سبحانه لا تصيبه غفلةٌ، ولا تأخذه سِنَةٌ، ولا يُصِيبُهُ ضَعْفٌ - حاشاهُ - بل هو عالمٌ بغفلاتِ المخلوقاتِ من الجنِّ والإنسِ، قدَّ عَدَّها عليهم

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/346.

(2) للبَرْد، اللقْطَض: 4/188، وابن عيش، شرح ابن عيش: 1/108.

(3) السَّامَرَاوِي، معاني النَّحْو: 1/230.

أفادت (ما)
قوَّة النَّفْيِ
في العبارة،
والتَّنْزِيهِ لجلاله
بجدارةٍ

بيانُ عَظِيمِ شَأْنِ
اللَّهِ، وهوانِ مَنْ
بسواه

وأحصاها، حليمٌ عليهم بما يقتفرونَ في غفلاتهم التي تصدر عن جهلٍ أو نسيانٍ، ولبيان أنه سبحانه قد وضع أعمالَ الناسِ في مقاييسَ وموازينَ يعجزُ عن إدراكها البشرُ، ثم تَحَوَّلَ تلكَ المقاييسُ للأعمالِ والنِّياتِ إلى منازلٍ، بهيئةٍ درجاتٍ ترتفعُ بأصحابها في الجنانِ، أو تهوي بهم إلى دركاتِ الجحيمِ والشَّقَاءِ، فيكون بين صيغتي الإثباتِ والنَّفيِ لاسمِ الفاعلِ طباقٌ سَلَبٌ.

توجيه التعبير بتركيب «رُبُّكَ»:

كَرَّرَ مفردة «رُبُّكَ» لما ذكرناه من تشريفِ الرَّسُولِ ﷺ في المواضعِ والموضوعاتِ كُلِّها من سورة الأنعام، فجعلَ ذلكَ مقصداً للسُّورةِ، فالخالقُ المربِّي للخلقِ، والمدبِّرُ لشؤونهم هو أعلمُ في نفوسهم، وأخبر بأحوالها، وفيه تذكيرٌ للمؤمنين بمكانته ﷻ، وما يرافق ذلك من تطمينٍ للمؤمنين برسالته ونبوته ﷺ.

فائدة (الباء) في قوله تعالى: «يَغْفِلُ»:

(الباء) في قوله: «يَغْفِلُ» زائدةٌ مختصةٌ بتوكيدِ النَّفيِ، قال البصريُّون: هي لرفعِ توهمِ الإثباتِ، فإنَّ السَّامِعَ قد لا يسمعُ أوَّلَ الكلامِ⁽¹⁾، فإذا سَمِعَ (الباءَ) عَلِمَ أنَّ ما قبلها نفيٌّ؛ لأنَّ (الباءَ) لا تزداد في الإيجابِ، فهي تؤكدُ استحالةَ غفلةِ اللهِ سبحانه عن أعمالِ خلقه صغيرها وحقيرها: «إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ حَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ» [لقمان: 16].

بديع الجناس الناقص في: «مِمَّا» و«عَمَّا»:

وبين جناسٍ ناقصٍ، والجناسُ يوحى بتجانسِ الجزاءِ والعملِ، فالجزاءُ من جنسِ العملِ، وجامعُ ذلكَ ومُشْتَرَكُهُ هي الأعمالُ ومقاييسُها التي وَضَعَهَا اللهُ سبحانه لقياسِ الأعمالِ وترتيبِ المنازلِ والدَّرَجَاتِ، كلُّ بِحَسَبِ ما قَدَّمَ.

الخطابُ
تشريفٌ للرَّسُولِ
الأكرمِ ﷺ

استحالة غفلة
الله تعالى، وهو
الذي لا تأخذه
سنة ولا نومٌ

العملُ والجزاءُ
عُنصران
متجانسان، لا
ينفك أحدهما
عن الآخرِ.

(1) الأزهري، شرح التصريح: 1/201، والصَّبَّان، حاشية الصَّبَّان: 1/250.

بديع جناس الاشتقاق، بين «عَمِلُوا» و«يَعْمَلُونَ»:

أَعْمَالُ النَّاسِ،
تَكُونُ حَاضِرَةً
يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛
لِيُنَالُوا جَزَاءَهُمْ
بِإِنصَافٍ

بين «عَمِلُوا» و«يَعْمَلُونَ» جناسُ اشتقاقٍ، وفائدته: معرفة أن ما يعملهُ المكلفون في الدنيا سيكون حاضراً أمامهم يوم القيامة، قال تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجنّة: 29]، وقال: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: 49].

بلاغة الالتفاتِ الفِعْلِيِّ مِنَ الْمَاضِي إِلَى الْحَاضِرِ:

أَعْمَالُ النَّاسِ،
تَكُونُ حَاضِرَةً
يَوْمَ الْقِيَامَةِ،
وَتُحْتَسَبُ
بِالْمِقْيَاسِ
الْتِرَاقِمِيِّ

بين «عَمِلُوا» و«يَعْمَلُونَ» التَّفَاتُ فِعْلِيٌّ فِي الْخُطَابِ مِنَ الْمَاضِي إِلَى الْحَاضِرِ؛ لِيُعْلَمَ أَنَّ كُلَّ فِعْلٍ سَيُشَاهَدُ وَقَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَفِي ضَوْئِهِ يَكُونُ اسْتِحْقَاقُ الْعَذَابِ، لَا تَظْلَمُونَ، وَلَا تُظْلَمُونَ، وَأَنَّ مَقْيَاسَ الْأَعْمَالِ تِرَاقِمِيٌّ تَجْمِيعِيٌّ لَا يُفَوِّتُ شَيْئًا أَوْ يَتَجَاهَلُهُ، وَتُبَيِّنُ صِفَةَ الْمَضَارِعِ بِدَيْمُومَةِ عَدَمِ غَفْلَتِهِ تَعَالَى عَنْ أَعْمَالِ عِبَادِهِ عَلَى امْتِدَادِ الزَّمَنِ.

بلاغة التّعريضِ، فِي قِرَاءَةِ الْجُمُهورِ: «يَعْمَلُونَ»:

فِي الْآيَةِ تَسْلِيَّةٌ
لِرَسُولِ اللَّهِ
وَتَعْرِيزٌ
بِالْمُشْرِكِينَ

قَرَأَ الْجُمُهورُ سَوَى ابْنِ عَامِرٍ «يَعْمَلُونَ» عَلَى لَفْظِ «وَلِكُلِّ» بَيَاءِ الْغَيْبَةِ، فَيَعُودُ الضَّمِيرُ إِلَى أَهْلِ الْقُرَى، وَالْمَقْصُودُ مُشْرِكُو مَكَّةَ، فَهُوَ لِلتَّسْلِيَةِ وَالتَّطْمِينِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلِلْمُؤْمِنِينَ؛ لئَلَّا يَسْتَبْطِنُوا وَعَدَ اللَّهِ بِالنَّصْرِ، وَهُوَ تَعْرِيزٌ بِالْمُشْرِكِينَ أَرَادَ تَهْدِيدَهُمْ وَوَعِيدَهُمْ، وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ وَحْدَهُ «تَعْمَلُونَ» عَلَى الْمَخَاطَبَةِ بِالتَّاءِ⁽¹⁾، فَالْخُطَابُ لِلرَّسُولِ ﷺ وَمِنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَهُوَ وَعْدٌ بِالْجَزَاءِ عَلَى صَالِحِ أَعْمَالِهِمْ.

بلاغة الالتفاتِ وَتَوَعُّعِهِ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ:

الْإِلْتِفَاتُ مِنَ
الْغَائِبِ إِلَى
الْمُخَاطَبِ، ثُمَّ
مِنَ الْمَفْرَدِ إِلَى
الْجَمْعِ

فِي قِرَاءَةِ ابْنِ عَامِرٍ تَغْلِيْبٌ لِلْخُطَابِ عَلَى الْغَيْبَةِ، وَمِرَاعَاةٌ لِمَا بَعْدَهَا: «يَذْهَبُكُمْ»، «مِنْ بَعْدِكُمْ»، «أَنْشَأَكُمْ»، وَمَعَ هَذَا الْإِلْتِفَاتِ إِلَى الْمُخَاطَبِ انْسِجَامٌ مَعَ قُرْبِ مَعَادِهِمْ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ فَيَجَازِيهِمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ.

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/347، وابن الجزري، النشر: 2/263.

وقوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ الخطابُ للرَّسول ﷺ، والمعنى: كلُّ ذلك من عملهم، بعلم من ربِّك، يحصيها ويُنْبِئُهَا لهم عنده، ليجازيهم عليها عند لقائهم إِيَّاه ومعادهم إليه⁽¹⁾. فتحقَّق من ذلك التفاتٌ من المفردِ إلى الجمع، فالتفتَ الخطابُ من الرَّسول ﷺ، إلى جَمْعِ المؤمنين ورسول الله ﷺ معهم، فهو وعدٌ بالجزاء على صالح أعمالهم، ترشيحاً للتعبير بالدرجات العُلا من الجنَّة، ليكونَ حصاناً ضامناً مطمئناً لهم من وعيدِ أهلِ القُرى من أصحابِ الظُّلم⁽²⁾.

بلغة المُقابلة في الآية الكريمة:

المقابلة بينَ العبارتين: في الأولى قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَتٍ مِّمَّا عَمِلُوا﴾ مختصٌّ بأهل الطَّاعة؛ لأنَّ لفظَ الدَّرَجَةِ لا يليقُ إلاَّ بهم - على اعتبارِ أنَّ الدَّرَجَاتِ لأهل الجنَّة والدركاتِ لأهل النَّارِ - والثَّانية قوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ مختصٌّ بأهل الكفر والمعصية⁽³⁾، وهذا مدَّعَاةُ المُقابلة، وقصيدها في الآية بينَ العبارتين، فقابل بين الفريقين وعدًا ووعدًا، واللَّهُ سبحانه هو الضَّامنُ للعدل، وتحصيلِ الحقوق.

علَّة تقديم وصفِ حالِ الآخرة على الدُّنيا:

وقدَّم ما يصفُ حالَ الآخرة ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَتٍ مِّمَّا عَمِلُوا﴾، على ما يصفُ حالَ الدُّنيا ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾؛ لأمرين: الأوَّل: أنَّ حالَ الآخرة هو المآلُ، وهو الغايةُ لكلِّ عاقلٍ ذي لبٍّ، والثاني: أخرَ وصفِ الدُّنيا؛ لأنَّه الواقعُ المعيش، المصاحبُ لحالِ الأحياء، المُلاصِقُ لهم، و﴿كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: 21]، وعرضُ

أهل الطَّاعة لا
يليقُ بهم إلاَّ
اللفظُ الدَّالُّ على
العُلُوِّ والرِّقَاءِ

غايةُ كلِّ عاقلٍ
مآلُهُ في الآخرة،
حيثُ الحياةُ
للنُّلَى

(1) ابن جرير، جامع البيان: 12/125.

(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 8/84.

(3) الفخر الرَّازي، مفاتيح الغيب: 13/162.

بأسلوب فيه ما فيه من التنبيه إلى قدرته تعالى وعلمه، وهو العالم بأفعال العباد ونياتهم.

بلادة التوكيد في جملة الفاصلة:

قوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ عَبَّرَ - ﷻ - بنفي الغفلة عنه نفيًا مؤكِّدًا، بمؤكدات ثلاثة، أولها: التعبير بالجملة الاسمية، وثانيها: دخول (الباء) الزائدة للتوكيد التي تدلُّ على استغراق النفي. وثالثها: التعبير بـ ﴿رَبُّكَ﴾؛ لأنَّ الرَّبَّ هو الذي ربَّى النفوس والأخلاق، فهو أعلم بها، وأخبر بأحوالها، فجزاؤه جزاء من يضع العقاب في موضعه، والثواب في مكانه⁽¹⁾. وزيادة هذه المؤكِّدات؛ لأنَّ العبارة خطابٌ للنَّاس، وفيهم من ينكُرُ قدرة الله وقِيُومِيَّتَه على خلقه، وأنَّه سبحانه قد أحصى كلَّ شيءٍ عليهم، فجاءت المؤكِّدات لتوكيد نفي الغفلة عن الله سبحانه والبيان للنفوس الشاكَّة المنكرة للإيمان وللرسالات استحالتها عليه سبحانه.

توجيه نظائر الآية الكريمة:

وَرَدَ من نظائر الآية في الأحقاف بعد أن ذكرَ أحوال الجنِّ والإنس من المؤمنين وغير المؤمنين، فقال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَلُهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأحقاف: 19]؛ فَعَلِمَ أَنَّ للجنِّ ثوابًا كما أَنَّ للإنس ثوابًا⁽²⁾. أو قوله تعالى: ﴿هُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: 163] على تقدير الكلام: لهم درجات عند الله، فَحَسُنَ هذا الحذف؛ لأنَّ اختلاف أعمالهم، قد صَيَّرَهُم بمنزلة الأشياء المختلفة في ذواتها، فكان هذا المجازُ أبلغ من الحقيقة⁽³⁾.

وردت مؤكِّدات
النفي، لمن أنكر
قدرة الله في
خلقه

جفل اختلاف
الأعمال،
كاختلاف
الذوات

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 1/2678.

(2) ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم: 4/1389.

(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 9/62.

تُوجِيهِ الْمُتَشَابِهِ اللَّفْظِيِّ، بَيْنَ آيَةِ الْإِنْعَامِ (132)، وَآيَةِ الْأَحْقَافِ (19):

قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُؤْفِقَهُمْ أَعْمَالُهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأحْقَاف: 19]، ذَكَرَ الْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ، فَجَاءَ التَّعْقِيبُ فِي الْآيَةِ مُنَاسِبًا لَذَلِكَ، فَقَالَ: ﴿وَلِيُؤْفِقَهُمْ أَعْمَالُهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾، وَذَكَرَ فِي الْإِنْعَامِ الظَّالِمِينَ، فَقَالَ مَعْقِبًا فِي الْآيَةِ: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾.

❁ الْفُرُوقُ الْمُعْجَمِيَّةُ:

(الدَّرَجَاتُ)، وَ(الْمَنَازِلُ)، وَ(الْمَقَامَاتُ):

قوله: ﴿دَرَجَتٌ﴾، الدَّرَجَةُ فِي الرَّفْعَةِ وَالْمَنْزِلَةِ، وَدَرَجَاتُ الْجَنَانِ: مَنَازِلُ أَرْفَعُ مِنْ مَنَازِلٍ⁽¹⁾، وَ(الدَّرَجَةُ) أَيْضًا الْمَرْتَبَةُ وَالطَّبَقَةُ، وَالْجَمْعُ (الدَّرَجَاتُ)⁽²⁾. أَمَّا الْمَنَازِلُ؛ فَالْنُّزُولُ فِي الْأَصْلِ هُوَ انْحِطَاطٌ مِنْ عَلَوٍّ، فَلَا تَصْلُحُ أَنْ يُذَكَرَ فِي الدَّرَجَاتِ الْعَالِيَةِ إِلَّا بِقَرِينَةٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ [المؤمنون: 29]، فَجَعَلَهُ مُنْزَلًا مُبَارَكًا، وَإِنْزَالُ اللَّهِ تَعَالَى نِعْمَةً وَنِقْمَةً عَلَى الْخَلْقِ⁽³⁾، فَالْمَنَازِلُ أَعْمٌ مِنَ الدَّرَجَاتِ.

أَمَّا الْمَقَامَاتُ؛ فَأَصْلُهَا مِنَ الْقِيَامِ، وَالْمَقَامُ يَكُونُ مَصْدَرًا وَاسِمَ مَكَانِ الْقِيَامِ وَزَمَانِهِ، نَحْوُ: ﴿يَقُومُ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكَّرِ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ [يونس: 71]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ [الرحمن: 46]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: 125] فَهِيَ الدَّرَجَاتُ الْعَالِيَةُ، وَالْمَقَامَاتُ مَرْتَبَةٌ إِيْجَابًا فِي تَرْتِيبِ تَصَاعُدِيٍّ، فَلَا يَصْلُحُ أَنْ يُقَالَ: مَقَامَاتُ الْكُفَّارِ.

لِذَلِكَ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ عَنْهُ ﷺ قَوْلُهُ: «الْجَنَّةُ مِثْلُ دَرَجَةٍ مَا

مِيقَاتُ تَوْفِيَّةٍ
أَعْمَالِ الْعِبَادِ،
فِي يَوْمِ الْمَعَادِ.

الْمَنَازِلُ أَعْمٌ
مِنَ الدَّرَجَاتِ،
عِنْدَ رَبِّ الْأَرْضِ
وَالسَّمَاءَاتِ

(1) الْخَلِيلُ، الْعَيْنُ: (دَرَجٌ).

(2) الرَّازِيُّ اللَّغَوِيُّ، الصَّاحِبُ: (دَرَجٌ).

(3) الرَّائِغُ الْأَصْفَهَائِيُّ، الْمَفْرَدَاتُ: (نَزَلَ).

بين كلِّ دَرَجَتَيْنِ مِئَّةٌ عَامٌ»⁽¹⁾ والدَّرَجَةُ هي المنزلة والمكانة العالية، وليس المراد بالعدَدِ الحَصْرَ، وإنما للدلالة على كثرتها، بحيث إنَّ المسافة التي تكون بين الدَّرَجَتَيْنِ، ومقدار ارتفاع كلِّ دَرَجَةٍ عن الأخرى تكون مثل مسافة مَنْ يَسِيرُ مِئَّةَ عَامٍ؛ لذلك ناسب السِّياقَ الكريم في الآية أن يوردَ لفظَ ﴿دَرَجَتٌ﴾، ليشمل الجزاء النعيم والعقاب المتفاوت في تلك الدَّرَجَاتِ لكلا الفريقين.

(1) أخرجه الترمذي في جامعه، الحديث رقم: (2529)؛ وأحمد في المسند، الحديث رقم: (7910).

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني عشر، سورة الأنعام من الآية 124 إلى سورة الأعراف الآية 13
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1445هـ - 2024م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: سورة الأنعام من الآية 124 إلى سورة الأعراف الآية 13 [إشراف مجمع القرآن

الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-

الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 12، 804 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 4-4-64-798-9948-978

يشتمل على ارجاعات ببلليوجرافية.

مج. 12: سورة الأنعام من الآية 124 إلى سورة الأعراف الآية 13.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-

ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث

التقييم الدولي: 4-4-64-798-9948-978

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-1637585 بتاريخ 2023/12/19م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»